حجاجية الخطاب السياسي بين أفق انتظار المتلقي والافتراض المسبق للمرسل.

Argument of Political Discourse Between The Receiver Expectations Horizon and Pre-Supposition of The Sender

طالب الدكتوراه/ مصابيح حسين

تحت إشراف: د/قوتال فضيلة

مخبر الخطاب الحجاجي / جامعة ابن خلدون-تيارت(الجزائر).

البريد الالكتروني: meshou1991@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/07/06 **تاريخ القبول:2019/10/25** **تاريخ النشر: 2019/12/12**

الملخص:

يعرف الخطاب بأنه فن من فنون القول، يستخدم لإقناع الجماهير واستمالتهم، ومن ثمة فإن الضرورة الاجتماعية والظروف السياسية تحتم على الخطيب أن يتزود بقواعد الخطاب الحديثة، وتقنياته الحجاجية، للتعبير عن قضايا المجتمع، وفي كل الأحوال لا يمكن للغة أن تبوح بكل شيء، كما يمكن للخطيب السياسي مجانبة الصدق، ومخادعة الجمهور، ولا يتبين ذلك إلا من خلال الحجج التي يقدمها، وما تضمره من القول، وما تبنى عليه من افتراضات سابقة .

الكلمات المفتاحية:

الحجاج-الخطاب السياسي-أفق التوقع-الافتراض السابق، الإقناع.

***ABSTRACT* :**

The discourse is an art of saying, used to impress the masses, and from there, the social necessity and the political circumstances force the preacher to conform to the rules of the modern discourse and to his techniques of the arguments to express the problems of the society, In any case, language can not reveal everything, political speech can avoid honesty and deceive the public. This can only be seen by the arguments he makes, and what he contains from the statement, and built on the pre-supposition.

Keywords:

***Arguments - Political discourse - Expectations horizon – Pre-Supposition* – Persuasion.**

1- الخطاب السياسي:

ليس بمقدور الفاعل السياسي، فرداً كان أم حزباً أم دولة، أن يعبر عن أفكاره و استراتيجيته و برنامجه،من دون خطاب فعّال ومقنع، يؤثر في الجمهور فكرياً وعاطفياً، وليس الخطاب السياسي مجرد كلمات أو تراكيب لغوية، إنما هو أجندة سياسية ورؤية استراتيجية ومشروع أخلاقي، يعكس التكوين القيمي لصانعه، وخلفيته الثقافية، ويؤدي أدواراً سياسية واتصالية ومعنوية في المجتمع، ويلعب الخطاب السياسي والإعلامي دوراً في صناعة الوعي، وبناء المعنى في المجتمع، فمن تحليل نصوصه يمكننا فهم سياسات القادة

والدول وثقافات المجتمعات؛([1]) إذ إن الخطاب يصف بمفاهيمه اللغوية واقعاً وسياقاً معيّنين، ويتأسس فيه بالضرورة معنى أو عدة معانٍ يراد إيصالها إلى المتلقي، من خلال الإقناع و المحاججة.

فالخطاب بوصفه ملفوظا، يضطلع بأدوار كبيرة في عملية التفاعل الخطابي، باعتباره "ممارسة تجرى تداوليا في السياق، مما يحول دون ثبات سماتها، فالمرسل متجدد وكذلك المرسل إليه، كما أن عناصر السياق الأخرى متغيرة دوما، وهذا وجه تسميتها بعناصر سياق الخطاب"([2]) ،التي لا يمكن أن تقوم لها قائمة ما لم تكن مدروسة استراتيجيا وفق مقصدية المُرسِل و أفق انتظار المتلقي.

وبناء على ما سبق فالخطاب السياسي يعتبرُ " من القوى المؤثرة -بشكل مباشر-في عقول الجماهير، وتعتمد فاعليته على قدرة القيادات السياسية على صياغة الأهداف، والقرارات، ونوايا واتجاهات الدولة،بشكل مقبول إلى عقول الناس ضمن جمل مؤثرة، والخطاب كما عرفه "أرسطو" بأنه: القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل، وعرفه ابن رشد بأنه قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة، وعرفه بعض المحدثين بأنه: نوع من فنون الكلام غايته إقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيهم بصواب قضية أو بخطأ أخرى([3]) "، وعليه يجب أن نَعِيَ بأن الخطاب لا يأتي إمّا لغرض تصويب أو تفنيد أمر ما،أو الإعلام به بغية اكتشاف ردة فعل الجمهور.

لذا يرى بعض المهتمين أنّ الخطابَ تُميّزُه مجموعةٌ من السّمات، التي لا يكاد يخلو منها، وتعدُّ من مقومات، بنائه وهي ([4]) :

1-كل خطاب هو وحدة لغوية أو تركيب من الجمل المنظومة طبقا لنسق مخصوص من التأليف.

2-الخطاب نظام من الملفوظات ،لكون الكلام مظهر لفظيّ خاص بالفرد ،وهو أكثر المظاهر الإشارية تعبيرا عن اللغة المعتمدة كقاعدة معيارية.

3-الخطاب هدفه الإفهام والتأثير،حيث توظّف فيه مجموعة من الاعتبارات الدينية والإثنية والعرقية والمعرفية، وكلّ مقوم ثقافي من شأنه التأثيث لفضائه السلطوي المطبوع بالسياسة.

4-على المتلقي أن يستشف المقصد الذي ينطوي عليه الخطاب، متمثلا رسالته الدلالية التي تكمن فيه،لكي تكتمل دائرة الاتصال والتواصل.

5-هناك علاقة جدلية بين الخطاب السياسي والواقع الإنساني الاجتماعي تفرض نفسها بكل إلحاح على منتج الخطاب لكي يكون خطابه تفاعليا و إقناعيا.

و بعد أن عرفنا ماهية الخطاب وسمات السياسي منه ،لابدّ أن نعرف أيضا أنّ الخطاب لا يتكئ على مفاهيم التأويل و التلقي فحسب ،بل يتعدّاه إلى بعد جدليّ فلسفيّ بالدّرجة الأولى اسمه الحجاج ،فماهو الحجاج كمفهوم و تصوّر بالنسبة للخطاب السياسي؟

2- مفهوم الحجاج:

1.2 الحجاج في التصور العربي.

لا تخلو أمهات الكتب العربية من الممارسة الحجاجية، لذا لم يكن الحجاج مصطلحا حديثا، بل ارتبط بأول وجود للإنسان الاجتماعي من خلال التواصل باللغة، فالحجاج يقوم على" توجيه خطاب إلى متلق فرد أو جماعة بغية تعديل سلوكاته أو رأيه عن طريق الكلام ومعجم اللغة الطبيعي" ([5])، كما في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة-258] .

ومنه نجد أنّ الحجاج ظلّ موضوعا بالغ الأهمية لدى العرب بعد عصر التدوين، ولا أدل على ذلك وجوده كمفهوم ومصطلح مطروق وموضح، ضمن معاجم اللغة العربية، التي أنجزها اللغويون العرب طيلة عقود وحقب من الزمن، كلسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي، والتهذيب للأزهري، والمحكم لابن سيده، وغيرها من الكتب، وهنا نورد مادة: (حجج) كما وردت ضمن بعض المعاجم.

ففي اللسان لابن منظور:" الحُجَّة البُرْهان، وقيل الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم، وقيل: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة، ورجل مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ، والتَّحاجُّ التَّخاصُم، وجمع الحُجَّةِ حُجَجٌ وحِجاجٌ، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً نازعه الحُجَّةَ، وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً غلبه على حُجَّتِه، وفي الحديث: فَحَجَّ آدمُ موسى أَي غَلَبَه بالحُجَّة، واحْتَجَّ بالشيءِ اتخذه حُجَّة ([6]) ". وقال الأزهري: "ومن أمثال العرب: لجّ فحجّ، معناه: لج فغلب من لاجّه بحججه، يقال :حاججته أحاجّه حجاجا ومحاجّة حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها والحُجّة بالضم: مصدر بمعنى الاحتجاج والاستدلال" ([7]).

كما جاء في مشارق الأنوار ضمن مادة : (ح ج ج) قَوْله: فحجّ آدم مُوسَى أَي غَلبه بِالْحجَّةِ، وَظهر عَلَيْهِ، وَقَوله: فَأَنا حجيجه، وامرؤ حجيج نَفسه، أَي محاجه ومناظره.([8]) وقيل: "حاجَّ يحاجّ، حاجِجْ، حاجَّ، مُحاجَّةً وحِجاجًا، فهو مُحاجّ، والمفعول مُحاجّ (للمتعدّي)، حاجَّ الشَّخصُ: أقام الحُجَّةَ والدَّليلَ ليُثبت صحَّةَ أمر، برهن بالحُجَّة والدَّليل ليقنع الآخرين ،حاجَّ لدعم افتراضٍ، حاجَّ الشَّخصَ: جادله وخاصمه، نازعه بالحجَّة، ناظره "([9]) وجاء في أساس البلاغة أيضا:" (ح ج ج) احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب. وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاجة. وسلك المحجة، وعليكم بالمناهج النيرة، والمحاج الواضحة "([10])

وقد تطرق أبو هلال العسكري في الفروق، إلى الفرق بين الاحتجاج والدلالة، فقال: "وإذا قلنا حجة العقل، ودلالة العقل، فالمراد أن النظر فيهما يفضي إلى العلم من غير افتقار إلى أن ينصبهما ناصب، وقال غيره: الحجة هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم من رد الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من المحجّة، وهي الطريق المستقيم، وهذا هو فعل المستدل، وليس من الدلالة في شيء، وتأثير الحجة في النفس كتأثير البرهان،...لأن الحجة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد حجّ يحجّ، إذا استقام في

قصده...والاحتجاج هو الاستقامة في النظر على ذكرنا، سواء كان من جهة ما يطلب معرفته أو من جهة غيره"([11]) .

وجاء في مختار الصّحاح: الحجة البرهان، وحاجه فحجّه من باب ردّ، أي غلبه بالحجة، وفي المثل (لج فحجّ) فهو رجل محجاجٌ، بالكسر أي جدل، و(التحاجج) التخاصم، والمحجّة جادة الطريق ([12])، فإذا كان مفهوم الحجاج يدور في هذا الفلك ضمن البلاغة العربية فما موقع الجدال من ذلك؟ وهل معنى الجدال يؤدي إلى مفهوم الحجاج بالضرورة؟

2.2 الحجاج والجدال

قال تعالى:﴿ والذين يُحَآجُّونَ فِي الله مِن بَعْدِ مَا استجيب لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾[الشورى: 16]. "فقد بيّن الله تعالى في هذا الموضع أن من أنواع جدال الكفار، جدالهم للمؤمنين الذين استجابوا لله وآمنوا به وبرسوله، ليردوهم إلى الكفر بعد الإيمان، وبيّن بطلان حجّة هؤلاء، وتوعدهم بغضبه عليهم، وعذابه الشديد" ([13])، كما يقول الله تعالى في موضع آخر:﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ. ﴾(النحل-111) "تجادل أي تُخَاصِمُ عَنْ نَفْسِهَا، وَتُحَاجُّ عَنْهَا، وَتَسْعَى فِي خَلاَصِهَا بِمَا أَسْلَفَتْ فِي الدُّنْيا مِنْ عَمَلٍ." ([14])

فمما سبق نكتشف أن لفظ **الحجاج** لا يفارق لفظ **الجدال أو الجدل** والجامع بينهما كمترادفين هو مفهوم **الخصام**، إذ:" اعتُبرت البلاغة جزءا من الحجاج (الجدل قديما) وفي ذلك كتب أرسطو:"تعد البلاغة فرعا متصلا بالجدل وبدراسة القيم، لذا جاز وصفها بالسياسة"([15]) ومهما يكن فإن الجدل والحجاج متلازمان في اصطلاح القدماء ومن هؤلاء صاحب كتاب: سبيل المنهاج في ترتيب الحجاج، حيث استخدم في العنوان لفظة الحجاج، بينما في المقدمة كان ينعته بكونه كتابا في الجدل ([16]).

إذن معرفة العرب والمسلمين للحجاج قديمة، كغيرهم من بني البشر، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (54-الكهف)، ولو تمعنا في الجملة: أكثر شيء جدلا، لوجدنا أنه رغم كل ما احتج به القرآن وبيّنه من تصاريف، وإعجاز وآيات، يبقى الإنسان أكثر جدالا، ومنازعة وزيغا عن الحق، وميلا نحو الباطل، بدواعي وحجج حتى لو لم تكن مقنعة، وقد فسر الطبري الآية قائلا:" يقول عزّ ذكره: ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كلّ مثل ، ووعظناهم فيه من كلّ عظة، واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكَّروا فينيبوا، ويعتبروا فيتعظوا، وينزجروا عما هم عليه مقيمون، من الشرك بالله وعبادة الأوثان (وَكَانَ الإنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا) يقول: وكان الإنسان أكثر شيء مِراءً وخصومةً، لا ينيب لحقّ، ولا ينزجر لموعظة." ([17])،ومن هنا نجد أن مصطلح الحجاج قد ورد بكثافة في القرآن الكريم بمسمى الجدل والمراء.

ولقد عرّف العرب معنى الجدل في اللغةً العربية بأنه: "اللّدد في الخصومة والقدرة عليها، وجادله أي:خاصمه، مجادلة وجدالًا، والجدل: مقابلة الحجة بالحجة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والجدالُ: الخصومة؛ سمي بذلك لشدّته، قال الراغب: الجِدَال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة."([18]) وقال

الجرجاني: "الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وقال أيضًا: الجدال: هو عبارة عن مراء يتعلَّق بإظهار المذاهب وتقريرها" ([19])، وقال ابن منظور: "المراء: الجدال. والتماري والمماراة: المجادلة على مذهب الشكِّ والريبة، ويقال للمناظرة: مماراة، وماريته أماريه مماراة ومراء: جادلته." ([20]) وبهذا نكتشف أنّ للحجاج عدّة مرادفات عكس ما هو عليه الحال لدى اللغويين الغربيين، وإن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدلّ على غنى وثراء اللغة العربية.

3.2. الحجاج في التصور الغربي.

مهما يكن فإن الحجاج قديما أو حديثا تظل غايته الإقناع، وعلى هذا الأساس، يصبح من جوهر اللغة، الأمر الذي ينتج عنه أنه حيثما وجد خطاب العقل واللغة، تتواجد استراتيجية معلومة نتوسل بها (عقلية أو لغوية) إما للتدليل لذواتنا، أو لإقناع غيرنا، هذه الاستراتيجية هي الحجاج عينه، مستمدا خصائصه وميزاته وقيمه من المجال الذي وجد فيه ([21])،و ينطلق البحث عن مفهوم الحجاج لدى الغرب ابتداء من العهد اليوناني على يد كلّ من أرسطو و أفلاطون ،حيث كانت البداية مع أرسطو كفيلسوف في صراعه مع السفسطائيين اللذين "كانوا يستعملون في الغالب سلطة القول في فضاءات السلطة،[وقد] نازلهم أبوا الفلسفة الغربية أفلاطون وأرسطو فكان بين هذين وأولئك نوعان من الحجاج، حجاج بحجاج في مسائل فلسفية مختلفة، وحجاج في ما به ينبغي أن يكون الحجاج، خطابان متقابلان ناشران لنظريتين مختلفتين إلى وضع القول في علاقته بمسألتي المعرفة والقيم الحاضنة للاجتماع الإنساني، وكان لذلك الحجاج الضاري الذي شهدته أثينا، مزايا عديدة"([22]) ،أسهمت في تطوّر الحضارة اليونانية وأعطتها بعدها العالمي.

ذلك اعتبارا من أن السوفسطائية([23]) هي التي كشفت عن الأسس الفلسفية العميقة للنظم السياسية والقوانين والقواعد الأخلاقية التي تنظم حياة الإنسان اليوناني، وأوجدت فروقا سياسية بين الملكية والجمهورية، والأرستقراطية والديمقراطية، ولمن تؤول السيادة للجماهير أم للطبقة الأرستقراطية أم لرجل واحد، ([24]) وفي ظل هذا الحراك الفكري والثقافي ازدهر الحجاج وكان أشد ضراوة في أيدي أصحاب هاتين الفئتين، لما ظل يثيره من القضايا المختلفة التي كان لها الفضل في تأسيس المدنية الأولى، ([25]) ومن "فضائل ذلك الحجاج على الفلسفة الإغريقية أنه كان لها بمثابة الخميرة كما ذكر مؤرخو الفلسفة، ففلسفة أفلاطون تشكلت في جوانب أساسية منها من جهد الإجابة عن معضلات أثارها السوفسطائيون في حجاجهم كمعضلة "**مينون**" Menon في المعرفة وهو أحد تلاميذ "**جيورجياس**" Georgias "([26]) .

والحاصل من ذلك في مجمله، إنّ أرسطو قد اتخذ من الخطابة مجالا خصبا للمحاججة، لكونه قد وضع الحجج، جوهرا للعلاقة الخطابية، بين المخاطِب و المتلقي، فسلط الضوء على أخلاقيات الأول، وانفعالات الثاني، أثناء العلاقة الخطابية، مركّزا على صلة هذه الأخيرة بالجدل، الذي يراه مدار العملية كلها، حيث إنّ عناصر الممارسة الكلامية ثلاثة هي: المتكلم والمخاطب وموضوع الكلام، إذ يمكن تعويضها بعناصر أكثر اصطلاحية، في الفلسفة اليونانية والتي هي: الإيتوس والباتوس واللوغوس، إذا ما سلمنا أن كل منها

يقابل واحدا من الإصطلاحات السابقة، فالإيتوس يقابل المتكلم، والباتوس يقابل المتلقي، واللوغوس يقابل موضوع الكلام، أو الخطاب.([27]) ،إذن من العناصر المتجذرة في الخطاب الحجاجي: المرسل والمتلقي، حيث يراعي الأول مدى استعدادات المتلقي لتقبل ما يلقى إليه من تصديقات (حجج)، وهو الأمر الأساسي في أي مسعى حجاجي.

2-4.الحجاج الغربي الحداثي.

2-4-1.نظرية شاييم بيرلمان Chaïm perleman :هو مُحيي علم البلاغة وما تفرع عنه من بحوث جديدة، حيث كان له فضل كبير في إحيائها بعدما صارت في عداد الأموات ، وآل بها الأمر إلى الحذف من المقررات المدرسية الفرنسية، وذلك بإعادة بعدها الحجاجي، ونقلها من وسيلة لزخرفة وتنميق الكلام إلى وسيلة إقناع ذات سلطة حجاجية، فردها إلى بعدها الفلسفي مرة أخرى، بضم الخطابة إلى الجدل، بعد عزلها عنه من طرف أرسطو بشكل من الأشكال، إذ يرى بيرلمان أن الحجاج الجدلي لا يختلف عن الحجاج الخطابي، إلا في الظروف والملابسات المحيطة بهما، مع أنه فصل ما بين البرهنة والحجاج، باعتبار أن البرهان يعبر عن الحقيقة البدهية، المتعلقة بالعلوم الدقيقة، بينما الحجة فتعبر عن الإقناع الذي يتعلق بشبه الحقيقة، أو المجال الحيوي للخطابة([28]).

ويرى بيرلمان أن كل شيء في الحجاج يديره الخطيب، كأن يختار مقدماته، ليلقى المقبولية لدى مستمعه، ويترتب على ذلك أن قوة الحجة تبقى مرهونة بمدى الانسجام، الذي يحدث بينهما، ومن خصوصيات نظرية الحجاج لدى بيرلمان، أنها قدمت خطاطة للحجج منقسمة على قسمين([29]): حجج قائمة على الفصل بين عناصر ربطت بينها اللغة، أو بعض التقاليد السارية، وحجج قائمة على الوصل تمكن من ترجمة القبول الحاصل حول المقدمات إلى نتائج.

أما بالنسبة لآفاق تحليل الخطابات وفق نظرية الحجاج لبيرلمان، فإنها تفرز اعتراضات احتمالية تتعلق بعدم قابليتها لتحليل الخطابات اللاحجاجية، كالخطاب الأدبي (الرواية والشعر)، مقابل الخطابات السياسية، والدينية، والدعائية، لكن لو تمعنا جيدا الأمر لاكتشفنا أن كل خطاب يتضمن حجاجا، ويبقى أن نعلم بأن درجة الحجّة تكون متفاوتة في قوتها من جنس خطاب إلى آخر،" فدرجة الحجاجية هاته مرتبطة بما يمكن تسميته قصدية الحجاج، وقد تكون مرتبطة بمقصديته،...بشكل واضح مباشر مقصود للإقناع"([30]).

2-4-2. نظرية لوسي أولبرخت تيتكا Lucie Olbrechts Tytica: هو أحد أصدقاء شاييم بيرلمان، والمشتغلين معه في مجال البلاغة الجديدة، فكل ما يقال عن منهج بيرلمان، يمكن أن يقال أيضا عن منهج تيتكا وقد اشتركا في إنتاج مصنفين في هذا المجال هما: كتاب (البلاغة الجديدة) ([31]) الذي يعد من أهم الكتب المصنّفة في الحجاج حديثا، وقبله كتاب:(الخطابة والفلسفة)، الذي لاقى استحسانا كبيرا نظرا للمجهودات الجادّة التي جاءا بها بين ثناياه، حيث انطلق الباحثان من النقطة التي توقفت فيها البلاغة اليونانية، وقاما بإحيائها وبث الروح فيها من جديد، بربطها مرة أخرى بالجدل أو الحجاج، " وعملا من جهة ثانية على تخليص

الحجاج من صرامة الاستدلال، الذي يجعل المخاطَب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب. فالحجاج عندهما معقوليّة وحريّة وهو حوار من أجل الوفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التّسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطية واللامعقول، اللذين يطبعان الخطابة عادة، وبعيدا عن الإلزام والاضطرار، اللذين يطبعان الجدل "([32]).

إن الحجاج المقصود لدى بيرلمان وتيتكا في مصنفهما المسمى: (الخطابة الجديدة) أو (البلاغة الجديدة) هو "دراسة تقنيات الخطاب التّي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم" ([33]) وغايتهما من الحجاج بوجهه الجديد "أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، أو تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب(إنجازه أو الإمساك عنه) أو هو ما وفّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللّحظة المناسبة". ([34])

وهنا تكمن سلطة الحجاج وقوته، وعليه فأهم ما راعاه المؤلفان هو:

- أن تحقيق الاقتناع هو غاية الحجاج.
- حمل المستمع على الإذعان.
- أن يكون الاقتناع في منطقة وسطى بين الاقناع والاستدلال.
- الاستدلال هو استنباط النتائج من المقدمات.
- الحقيقة في الحجاج نسبية وذاتية مرتبطة بالمقام.
- إن الإذعان يكون بواسطة الاقتناع، وهناك فرق بين الاقناع والاقتناع، ففي حال الاقتناع تكون النتيجة قد حصلت، دون اللجوء إلى خطيب مقنع، وهذا يترتب على قوة السلطة الحجاجية للخطيب أو لغته الخطابية.
- ما من محاجة إلا والباعث عليها وجود شك في صحة قضية ما.
- كل محاجة تفترض ان هنالك فكرة غير واضحة لابد من تدقيقها لإخراجها من دائرة الغموض. ([35])

كما تناول المؤلفان مسائل أخرى تتعلق بتقنيات الحجاج وإجراءاته، ثم تناولا مقدمات الحجاج التي يمكن أن يتم الانطلاق من خلالها للاستدلال منها: الوقائع Les faits، الحقائق والافتراضات les présomptions، القيم les valeurs وهرمية القيم، والمواضع les lieux.

3-4-2 ميشال مايير Michael Meyer: كانت انطلاقته من المجال الفلسفي الإبستمولوجي، ألّف مصنفات عديدة في الحجاج والبلاغة، منها: (المنطق، اللغة والحجاج) و (أسئلة البلاغة) و(علم المساءلة) وكتب فلسفية أخرى، وقد نهج مايير على درب أستاذه بيرلمان في الحجاج، مع أن ذلك لم يمنعه من أن تكون له وجهة نظر خاصة به، تمثلت في ربطه الحجاج بنظرية المساءلة، فما الحجة لديه سوى جواب عن وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدّر يستنتجه المتلقي ضمنيا من خلال الجواب.

وقد اعتمد مايير التداخل بين الحجاج والفلسفة حيث يقول:" اليوم يجب أن تكون الخطابة-بما فيها من حجاج وبلاغة-في خدمة الفلسفة لا خلاف في ذلك " ([36]) إذن مفهوم الحجاج عند مايير مرهون بالسؤال، والإشكال المعرفي الذي يستدعي البحث والاستقصاء للوصول إلى إجابة مقنعة هذا باختصار شديد ما يميز مفهوم الحجاج لدى مايير واختلافه عن حجاج غيره لا سيما أستاذه بيرلمان.

3. مفهوم أفق الانتظارHorizon d'attente:

يرى ياوس من خلال نظرية التأويل والتلقي التي ارتبطت مفاهيمها بالأدب والإبداع والفنون أن أفق التوقع أو أفق الانتظار،هو عامل هام واستراتيجي تقتضيه نظرية التّلقي يتعلق بعينة معينة من القراء أو المتلقين، يمتلك كل منهم أفقًا فكريا وجماليا أو استعدادا مفاهيميا، يحدد شروط تلقّيه للنّص الخُطبي أو الأدبي وتعبئته بالمعنى وتأويل بنيته الشّكلية ([37]) إلى مقصديتها الدلالية.

و يعد أفق التّوقع " مدار نظرية "ياوس" الجديدة، لأنّه الأداة المنهجية المثلى التي ستمكّن هذه النّظرية من إعطاء رؤيتها الجديدة، القائمة على فهم الظّاهرة الأدبية في أبعادها الوظيفية والجمالية والتّاريخية من خلال سيرورة تلقيها المستمرة [...] إذن بفضل أفق الانتظار تتمكن النّظرية من التّمييز بين تلقّي الأعمال الأدبية في زمن ظهورها وتلقّيها في الزمن الحاضر مرورا بسلسلة التّلقّيات المتتالية" ([38])، وقد أشار ياوس إلى أن مفهوم أفق التوقع يتضمن ثلاثة معايير أساسية:

1-التّجربة المسبقة التي اكتسبها الجمهور عن الجنس الذي ينتمي إليه النّص.

2- شكل الأعمال السابقة و موضوعاتها التي يفترض معرفتها.

3-التّعارض بين اللغة الشّعرية واللغة العلمية أو بين العالم المتخيل والواقع اليومي. ([39])

فمن خلال هذه المعايير نكتشف أن أفق التوقع أو الانتظار، لم يكن مُنصبّا على المجال الأدبي والتذوق الجمالي فيه وحسب، بل يتعداه إلى مجالات خُطبية أخرى، يأتي على رأسها الخطاب السياسي، وكذا الخطاب الديني والدعائي، التي تعد من بين الخطابات الموسعة، التي تكتسح شريحة أوسع من الجمهور، وهنا نجد أن مدى تلقي واستيعاب الخطاب-من أي لون كان – يتوقف على مدى تعامل المتلقي مع كل جنس، وميولاته نحوه، فمثلا: الشخص المتدين أكثر تأثرا وتفاعلا مع الخطاب الديني، والسياسي أكثر تفاعلا مع الخطاب السياسي، وهكذا، فالأمر هنا يتعلق بجاهزية واستعداد كل متلق لنوع الخطاب الذي هو إليه أميَلُ.

4. الافتراض السابق :pre-supposition

معناه أن يوجه المرسل كلامه إلى السامع، على اعتبار ما يفترض سلفا أنه معلوم لديه، ويكون ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب، مثلا: لو وُقّعَ مرسوم رئاسيّ لاستدعاء الهيئة الناخبة، فهذا يدل على أن المواطنين أُعلموا بإجراء استحقاقات ما قبل هذا التاريخ، فهذا ما يجعل الدارسين يولون اهتماما لدراسة الافتراض السابق، لما له من علاقة بما يجري في الحاضر، وقد سمي كذلك الإضمار القصدي، ويعني انطلاق المتخاطبين من معطيات معرفية قاعدية لتحقيق الفهم في كل تواصل لساني، ويشترط أن تكون هذه المعطيات والافتراضات معترفا بها ومتفقا عليها بينهم، إذ تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في التواصل ،والأقوال المضمرة نمط من متضمنات القول ترتبط بوضعية الخطاب ومقامه، على عكس الافتراض السابق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية ([40]).

إذن القول المضمر يشكل كتلة من المعلومات التي يحتويها الخطاب، إلا أن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات **سياق الحديث**، و**ملابسات الخطاب**، فالثانية ذات علاقة مباشرة بالافتراض السابق، بينما الأولى فتتعلق بالقول المضمر، وهما متقاربان جدا، فلو قلنا مثلا: "إن الحرّ شديد" يفهم المتلقي منه معاني منها: المكوث في بيته، أو لبس مظل على رأسه، واصطحاب نظاراته الشمسية، وهي تأويلات مفتوحة في ضوء تعدد السياقات، تتعلق كلها بالمضمر من الكلام، بينما لو قال قائل: كيف صار عمل الكلية المنقولة؟ فهنا يفترض أن المتلقي على علم مسبق بوضع المريض، وأنه في حاجة إلى كلية، وأنه قد أجرى عملية جراحية، وأنه مقيم بالمستشفى، وما إلى ذلك من لزوميات السؤال المطروح، والتي ينجز ضمنها الخطاب، فهذا كله من قبيل الافتراض السابق والذي يفهم لدى المتلقي من خلال ملابسات الخطاب.

5. الإقناع وعوامل تأثيره.

تقوم الخطابة الأرسطية على بعدها الإقناعي، الذي جعله أرسطو غرضه الأساس، فمدار الخطابة عنده إنتاج أقاويل تهدف إلى الإقناع في مجال المسائل الخلافية القابلة للنقاش، كونها علاقة مؤسسة على اللغة والخطاب، ولا يحصل بهما الإقناع إلا باجتماع أركان الحجاج الثلاثة: القول حاملا الفكر (اللوغوس)Logos، وأخلاق المرسل(الإيتوس) Ethos، وانفعال المتلقي(الانفعال) Pathos، وعليه جاءت الخطابة منقسمة إلى ثلاثة أقسام هي الأخرى: ([41])

1- البصر بالحجة،Eurisis وهي تحيُّن الفرصة السانحة، بين الحجج وسياق الحجاج.
2- ترتيب الأقسام Taxis وهو ترتيب ووضع الحجج في مكانها المناسب لتقوية الحجاج.
3- العبارة Lexis وهي البحث عن الألفاظ المناسبة للتعبير عن الهدف والغاية المراد بلوغها.

وقد حدد أرسطو للخطابة أنواعا، تهمنا منها الخطابة المشورية، وتتعلق بالخطابات السياسية، والمداولات الجماعية، والخطب الوعظية، وهي خطابة سلطوية([42])،فالخطابات ليست سوى إنجازات لأفعال اللغة، والتعبير عن المقاصد، لإنجاز الأهداف، ضمن سياق لغوي معين، يضمن استعمال الكلمات داخل نظام متسق للجمل، وتساوق مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصاً ومحدداً، وهذا ما يجعلنا نلجأ إلى دراسة اللغة أثناء الاستعمال، دراسة تداولية تعنى بكيفية انتاج الخطاب بوصفها محور استراتيجياته.

وعلى هذا الأساس لا يخرج الخطاب عن مجموعة من المسلّمات تتمثّل في طبيعة الحوار بين المرسل والمرسل إليه، والعلامات اللّغوية التي تشكّله، إضافة إلى البعد الدلالي الذي يهدف إلى إقناع المرسل إليه ،ولتجسيد كل المسلمات إجرائيا، لابد من العمل وفق معايير معينة، يأتي على رأسها: ([43])

- المعيار الاجتماعي، وهو معيار يراعي العلاقة الخطابية بين طرفي الخطاب.
- المعيار اللغوي، وهو معيار يراعي الجانب الشكلي للخطاب، والذي يخدم الدلالة إن لم يكن مباشرة فيكن تلميحا.
- معيار مقصدية الخطاب التي تكمن في أهدافه المراد تحقيقها.

- معيار السلطة، سلطة المرسل، أو سلطة اللغة، أو سلطة الخطاب في حد ذاته، وهذا يقتضي الإلزام، والإذعان.

1. سلطة الخطاب بين أفق التوقع والافتراض المسبق.

تكمن سلطة الخطاب في قوته الإقناعية التي يؤثر بها على المتلقي، ولا يمكن أن تقوم للخطاب قائمة (سلطة) مالم يكن مخططا مسبقا، فمؤشرات نجاح الخطاب وإثبات فعاليته التي تعد جزءا من الاستراتيجية والتخطيط، يمكن إحصاؤها في:([44])

1- استخدام أنموذج التركيز والتخفيف في التخطيط الاستراتيجي، أو لتحليل استراتيجية الغريم.
2- التركيز على النقاط الجيدة.
3- التقليل من نقاط الضعف.
4- التركيز على نقاط ضعف الغريم.
5- التقليل من قوة الغريم وتفاديها.

وحتى نتبين إجرائية ما تم معرفته، من آراء ونظريات تعلقت بالخطاب، لا سيما السياسي منه، نسوق أنموذجين من الخطاب السياسي، أحدهما يتعلق بأحداث السبعينيات من القرن الماضي، ألقاه "رئيس الجمهورية الراحل هواري بومدين" حول قضية الشرق الأوسط، والواجب العربي والإسلامي تجاهها، بينما يتعلق المقتطف الثاني بخطاب سياسي ألقي تمهيدا وتحضيرا لإعادة انتخاب "الرئيس عبد العزيز بوتفليقة" لعهدة خامسة.

<u>الخطاب الأول:</u>

نص الخطاب: [قلنا بأننا نرفض تمام الرفض إيقاف النار بدون قيد ولا شرط، لأن ذلك معناه الاستسلام وقبول شروط العدو، وقلنا هذا قبل الخامس جوان ويوم التاسع جوان ويوم 19 جوان 1967 وقلنا هذا في الأمم المتحدة، وفي مجلس الأمن، على لسان وزير خارجية الجزائر، ورفضنا لائحة مجلس الأمن.] [45]

- عنوان الخطاب: خطاب الرئيس الراحل هواري بومدين للأمة بخصوص الصراع العربي الإسرائيلي.
- قائل الخطاب: رئيس الجمهورية الجزائرية الراحل هواري بومدين.
- زمن الخطاب: 24 جويلية 1970.
- مكان الخطاب: قصر الشعب، مبنى البرلمان حاليا، عبر الإذاعة والتلفزيون الجزائري.
- موضوع الخطاب: القضية الفلسطينية، والنكسة العربية، في ظل مخططات استسلامية للعدوان الصهيوني.

1-6 القضية وترتيب الحجج

القضية هي: ' نرفض تمام الرفض إيقاف النار بدون قيد ولا شرط."

السبب هو: "ذلك معناه الاستسلام وقبول شروط العدو"

الحجة1: تصريح بالرفض قبل 5 جوان 1967.

الحجة2: تصريح بالرفض يوم 9 جوان 1967.

الحجة3 : تصريح بالرفض يوم 19 جوان 1967.

الحجة4: تصريح بالرفض على منبر الأمم المتحدة.

الحجة5: تصريح بالرفض لدى مجلس الأمن.

يتضح من تراتبية الحجج، وجود سُلّم تصاعدي في الحجاج، ينطلق من داخل الوطن وينتهي إلى خارجه عند آخر هيئة دولية مختصة، في فض النزاعات بين الدول، وإنهاء كل الأشكال الاستعمارية، وفي ذلك دليل على اهتمام وجدّية المرسل وتمسكه بالقضية الفلسطينية، بكل مسؤولية وصدق، واتخاذها مهمة ملزمة في عنق كل عربي.

2.6 أفق انتظار المتلقي: نستطيع القول إن أفق التوقع لمضمون الخطاب، كان في أوجه، خاصة أن الرئيس الجزائري وقائد جيشها، وشعبه، كانا حديثي الخروج من انتصار عظيم على العدوان الفرنسي، يتمتعان بتشبع كبير بالهوية والنزعة العروبية، التي لا تزال بصمتها واضحة إلى اليوم.

3.6 الافتراض السابق بين المتلقي والمرسل: يتبين من المقتطف الخطابي، أن هناك معلومات كثيرة تعد من مضمرات القول، بعضها معلوم لدى المتلقي وبعضها يعلم من سياق القول، نبينها ضمن الجدول الآتي:

الافتراض السابق	مضمرات القول
• الجزائر سيرت جيشا للمشاركة في الحرب.	• أن فلسطين مقدسة.
• الجزائر أسهمت بتسليح الجبهة العربية.	• قضيتها قضية أمة عربية وإسلامية.
• العرب تخاذلوا في ساحة المعركة.	• إهانة الفلسطينيين إهانة للعرب كلهم.
• لم تكن هناك معركة حقيقية.	• لا مناص من أداء الواجب تجاهها.
• رائحة الخيانة تفوح من البلد المجابه(مصر)	• العدو الصهيوني عدو الأمة برمتها.
• انصياع دول المواجهة لمخطط خبيث يخدم إسرائيل ضد القضية الفلسطينية.	• هناك استكانة وخضوع من طرف دول المواجهة. (تخاذل)
• المساهمة في وقف الحرب دون شروط	• العرب بإمكانهم قهر العدو لو أرادوا. (خيانة)

الهوامش:

[1]- ينظر: همام طه، جريدة العرب -الجمعة 20 يناير 2017 العدد 10518 السنة 39، ص 6.

[2]-عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجية الخطاب، كنوز المعرفة، ط3، عمان 2015.ص76.

[3]- إيناس ضياء مهدي، تحليل القوى الاستراتيجية المؤثرة في الخطاب، مجلة الأستاذ-العدد 200، لسنة 1433هـ-2012م، ص900.

[4]- ينظر:عبد الكريم ابزاري، جدلية السلطة والخطاب حجج السلطة وآلياتها القهرية، ضمن كتاب: الكتابة والسلطة (مؤلف جماعي)، تنسيق عبد الله بريمي وآخرون، كنوز المعرفة، ط1-2015-عمّان، ص552.

[5]- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، مجلة عالم الفكر العدد 2 المجلد 40، أكتوبر-ديسمبر 2011، ص 11.

[6]- ابن منظور، لسان العرب –دار صادر ط3، 1414، بيروت، ج2، ص 228.

[7]- أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف، 1967، ط1، القاهرة، ج3 ص 390.

[8]- أبو الفضل عياض بن موسى، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار التراث، ج1، ص181.

[9]- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008، ج1-ص445.

[10]- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1998، ج1 ص169.

[11]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة ص، ص 69،70.

[12]- الرازي، مختار الصحاح، دار المعاجم مكتبة لبنان، بيروت، 1976، مادة: حجج ص 52.

[13]- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج7، دار عالم الفوائد،1426ه، جدة، ص 76.

[14]- أسعد حومد، أيسر التفاسير، (د م)، ط4، دمشق،2009، سوريا، ص 657.

[15]- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب، دار المدارس للنشر، الدار البيضاء،2011، ص8.

[16]- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي ط2 ،2007، بيروت، ص15.

[17]- ابن منظور، لسان العرب، ج11 ص105، وابن فارس، مجمل اللغة، ج1، ص179.

[18]- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، (دت) القاهرة، ص67.

[19]- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح مركز الدراسات والبحوث نزار، دار نزار للنشر، (دت) ج1، ص118.

[20]- ابن منظور، لسان العرب، ج15 ص278.

[21]- ينظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر الكويتية، ع1 مجلد 30، سبتمبر 2001، ص 100.

[22]- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو على اليوم، إشراف: حمادي صمود، سلسلة الآداب، مجلد 34، (دت). جامعة منوبة –تونس، ص 51.

[23]- لمعرفة مفهوم السوفسطائية والتوسّع فيه ينظر: الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو على اليوم، إشراف: حمادي صمود، سلسلة الآداب، مجلد 34، (دت). جامعة منوبة –تونس، ص 49-51.

[24]- ينظر: فتح الله خليف، السوفسطائيون ومنزلتهم في الفكر اليوناني، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد 13 ،1990، ص 139.

[25]- ينظر: الموسوعة الفلسفية، مجموعة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين، إشراف: روزنتال يودين، تر: سمير كرم، دار الطليعة، (دت)بيروت، ص414.

[26]- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، مرجع سابق، ص 51.

[27]- ينظر: محمد الولي، مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وارسطو وبيرلمان، مجلة عالم الفكر، العدد2، أكتوبر –ديسمبر 2011، المجلد 40، الكويت، ص12.

[28]- ينظر: الحسين بنو هشام، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان وآفاق تحليل الخطاب، ضمن كتاب: البلاغة والخطاب، تنسيق: محمد مشبال، منشورات دار الأمان، ط1، الرباط،2014، ص 150

[29]- ينظر: المرجع نفسه، ص152. وينظر: الحسين بنو هشام، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة،2014طرابلس ليبيا، ص 101.

[30]- البلاغة والخطاب، تنسيق: محمد مشبال، منشورات دار الأمان، ط1، الرباط،2014، ص 153.

[31]- La nouvelle rhétorique-Traité de l’ argumentation (1958).

[32]- عبد الله صولة، الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج –الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكا ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج، إشراف حمادي صمود، مرجع سابق، ص 298.

[33]- المرجع نفسه، ص 299.

[34]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[35]- ينظر: المرجع نفسه، ص 301-307.

[36]- ينظر: سعيد فاهم، مفهوم الحجاج عند اللسانيين الغربيين، مجلة الحجاز العالمية للدراسات العربية والإسلامية، العدد 20 يوليو 2017، ص 85.

[37]-ينظر: هانز روبرت ياوس، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تر: رشيد بنجدو، منشورات المجلس الأعلى للثقافة،2004، مصر، مقدمة المترجم.

[38]- عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1،2007 ص162.

[39]- ينظر: بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1،2001، ص46.

[40]- ينظر: محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دار النشر للجامعات،2013، ص230.

[41]- ينظر: المرجع نفسه، ص64.

[42]- ينظر: المرجع نفسه، ص65.

[43]- ينظر: المرجع نفسه، ص129.

[44]- ينظر: المرجع نفسه، ص236.

[45]- من خطاب الرئيس الراحل هواري بومدين بخصوص الصراع العربي الإسرائيلي، ألقي بتاريخ: 24جويلية 1970 نشر في المسار العربي يوم 27 -12 -2010.